Metafiction In Talib Alrifai Novel "The Shadow of the Sun "

Dr. Ishraq Sami Abdulnabi
Center for Arab Gulf Studies
University of Basrah

Abstract

The research deals with metafiction technique at Talib Alrifai novel " The Shadow of the Sun " it involves the author's name or his personality or its indication in the novel in a way to indicate that he is the real author, and at the same time he is one of the important , main figures in the story. The author used this technique in his Novel, and the research followed up the technique and its drafting depending on two subjects, the first refers to expectation of limits which the reader's harmony break with the events of the story and its heroes, the second deals with reality and fantasy overlap blending together in a balance between them creating a special atmosphere in the novel`s narrate .

تقنية الميتاقص في رواية ظل الشمس لطالب الرفاعي

م.د.إشراق سامي عبدالنبي
قسم الدراسات اللغوية والأدبية
مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة

الملخص :

يتناول البحث تقنية الميتاقص في رواية ظل الشمس لطالب الرفاعي تتعلق هذه التقنية بمسألة اشراك اسم المؤلف او شخصيته او مايشير اليها واشراكه في الرواية بطريقة تشير الى انه المؤلف الحقيقي وهو في الوقت ذاته احد الشخصيات الهامة والرئيسة في القصة . وقد استعمل المؤلف الكويتي طالب الرفاعي هذه المسألة في روايته ، وحاول البحث متابعتها والبحث عن اساليب صياغتها معتمداً على مبحثين أساسيين يشير الاول الى حدود المفارقة التي يحدثها كسر تماهي القارىء مع احداث القصة وابطالها والمبحث الثاني يتناول كيفية تداخل الواقع مع الخيال ومزجها معاً بطريقة توازن بينهما وتخلق جواً خاصاً للقص في الرواية

مدخل :

ثمة زاويتان للنظر إلى العمل الروائي تتمثل الزاوية (الأولى بالخطاب أو كما يطلق عليه (المبنى الحكائي) في المصطلح النقدي ومنها ايضا النظر الى ما يسمى (المتن الحكائي) كوسيلة للدخول إلى عالم الرواية ومتابعة آلياتها نقديا.

فألما الخطاب السردي فهو الكيفية التي تتحقق فيها احداث ال رواية ؛ أي طريقة سرد الرواية . وأما المتن الحكائي فهو الاحداث والشخصيات والزمان والمكان بمعنى القصة الخام "الرواية لاتكون مميزة بمادتها فقط ؛ ولكن أيضا بوساطة هذه الخاصية الاساسية المتمثلة في ان يكون لها شكل ما بمعنى ان يكون لها بداية ووسط ونهاية"(١)

وهذه الصياغة هي بطبيعة الحال تتعلق بقدرة الاديب و بمدى ما يمتلك من نسج الخيال وطاقاته اللغوية الخاصة لينتج "تقاهي العناصر الفنيةالاساسية – للقصة أو الرواية– وتكوين خصوصيته من تداخل عناصره على نحو خاص يميزه عن غيره"(٢)

والميتاقص أو كما يطلق عليه قص القص هو احدى الوسائل والتقنيات الفنية التي تميز نصا عن نص آخر التي يحاول كتاب الرواية الجديدة استخدامها لتلوين ا لحكي ومنحه آفاقا ارحب من هنا يحاول هذا البحث التركيز على ماهية المبنى أو الشكل الذي يتخذه القاص وسيلة لسرد قصته كما سبق أن أسلفنا مختارين واحدة من اكثر التقنيات الحديثة شيوعا في الروايات الجديدة أي تقنية الميتاقص في رواية ظل الشمس للكاتب الكويتي (طالب الرفاعي) وهي رواية صغيرة الحجم مختصرة الموضوع والشحصيات تحاول التركيز على الفكرة والموضوع الاساسي ومناقشته ومنحه الأبعاد الممكنة كلها . فهي رواية مؤثرة عاطفيا في القارئ ويبدو ان هذا هو سبب انتقاء المؤلف لهذه الوسيلة الفنيية فضلا عما تقدم تتميز الرواية موضوع الدرس بانها مكتوبة بروح كلاسيكية اعتاد عليها القارئ العربي والفها بما تتمثل من لغة رشيقة واسلوب واضح وشائق في آن واحد...

الميتاقص في الرواية

يعد الميتاقص تقنية حديثة نسبيا يحاول القاص استعمال اسمه الحقيقي وشخصيته في الواقع ضمن القصة أو السرد الذي يصوغه لاسباب فنية ؛ تذكرنا بتقنية التغريب في المسرح كما صورها لنا بريخت في كونها محاولة لصدم المتلقي والعودة به إلى الواقع ومنع محاولة التماهي بينه وبين أحداث الرواية أو المسرح تاركاً مساحة فعلية بين مشاعر المتلقي وبين التفاعل التام والتفاعل الشديد والأبطال وهم يواجهون المشاكل والصعاب .

هذا التلاقي بين التغريب في المسرح والميتاقص في الرواية يتوضح بصورة ادق اذا ما ادرجنا هذا التعريف الموجز لهذه التقنية –الميتاقص– :

"القص الذي يجعل من نفسه موضوع حكيه وقد سمي بالسرد النرسيسي لان الكاتب يجعل من نفسه موضوعا لروايته " (٣).

وهذا القص في الرواية مثل " تيارا رافدا لحركة عامة نشأت في الستينيات واطلقت عليها صفات كالتجريبية والحداثية والجديدة"(٤).

وهناك امثلة وافية على هذا النوع من الكتابة في الادب العربي وعلى سبيل المثال لاالحصر:

عالم بلا خرائط	جبرا ابراهيم جبرا
شرق المتوسط	عبدالرحمن منيف
وردة للوقت المغربي	احمد المديني
الديناصورالاخير	فاضل العزاوي
يحدث في مصر الان	يوسف القعيد

استخدمت هذه الروايات عملية قص القص وهي كما ورد في معجم المصطلحات :– "يعرف توماشفسكي الاصطلاح كمقطع من قصة يعرض الا سباب التي من اجلها تألفت القصة" (٥).

أو على اقل تقدير ذكر ا لمؤلف لنفسه بوصفه كاتب القصة الحقيقي ومؤلفها وليس الافتراضي.

حدود المفارقة :

يخلق هذا الشكل من الكتابة مفارقة سردية تتمثل بكسر الاندماج والتماهي من جهة توظيف اسم المؤلف وشخصيته توظيفا فنيا يحمل دلالات جاهزة موحية مثلا ان يكون المؤلف يعمل في مجال الاعمار في الكويت فطالب الرفاعي كما هو معروف مهندس كويتي يشتغل في مجاله الهندسي مثلما يحترف الكتابة فهو قاص له مجاميع قصصي ة وروايات وكانت بداياته في مجموعته (ابو عجاج طال عمرك) كما ذكر لنا في روايته (ظل الشمس) ؛ فهي إذن معلومة واقعية والحديث عنه حديث جاد اعتمادا على هذه التفاصيل "ان وجود المؤلف الروائي بوصفه شخصية روائية تلغي الحدود بين المؤلف والمؤلف الضمني من جهة وبين هذا وذاك والشخصية الروائي ة من جهة اخرى ، كذلك بدا ميزة من ميزات البناء السردي"(٦).

ان المؤلف –الشخصية الحقيقية لطالب الرفاعي وهو المهندس الذي يقابله البطل في الطائرة ثم في مواقع العمل في الكويت يعلم تماما مصير الشخصية كيف لا وهو من كتب نهايتها : ه اهو المهندس الشاب ينهض تاركا كتابه ، ربما قصد الحمام،لأ رى ماذا كان يقرأ (ابو عجاج طال عمرك، طالب الرفاعي قصص هاهي الورقة الصغيرة التي كان يدون فيها ملاحظاته : ظل الشمس مشروع رواية ...حلمي ،المهندس رجائي، منال ، اسمي ونعمة ؟ هو يعرف نعمة ايضا لقد صدق ظني منذ رأيته في المطار ونظرته المدببة شعرت ان شيئا ما وراءه ...من اين يعرف نعمة ؟ هل يعرف مابيني وبينها ،من هو المهندس رجائي لااعرف احدا بهذا الاسم ومن تكون منال ؟ مشروع رواية!!؟؟.(٧)

يبدو ان القاص حاول اذابة الحدود بين الواقعي والمتخيل عبر الخلط بينهما أو الايهام بحقيقة المتخيل وخيالية الواقعي فبعد ان يقرأ البطل قصاصة الورق التي هي مشروع الرواية وتعرف على ماذكر فيها من اسماء تشكل له مفاجئة دائمة كلما تعرف على شخص جديد ورد اسمه ضمن الورقة تلك:

انعقد لساني لحظة سمعت اسمه اول مره ...لم يسبق لي رؤيته . قدمه دسوقي قائلا :الباش مهندس رجائي خطفتني الكلمة اسرعت إلى الورقة التي كتبها طالب الرفاعي اسم رجائي كان مدونا..احسست ان قدرا ما بدا يحاك لحياتي ، قدر مجهول لي ومعروف لغيري (٨)

نحن امام نص لانستطيع الجزم ب أن أحداثه خيال ورقي رسمه الراوي من خلال اعتماد المؤلف على شخصيات حددها منذ البداية وجود طالب الرفاعي بصفته مهندسا كويتيا شابا وحقائق اخرى ليست بالخيال لانها الواقع تماما.

" فالروايات الجديدة تحرص على الاستحواذ على اهتمام القارئ وجعله يقظا ،لهذا تعتمد على مبدأ عدم التوقع بدلا من مبدأ الايهام وهو مبدأ يتجسد هنا من خلال اللجوء إلى تقنية (الميتاقص) وتسعى من وراء ذلك إلى دفع القارئ إلى التأمل فيما يقرأ لاثارة انفعالاته أو انغماسه في عالم الفن فهي حريصة على ابقائه م نفصلا بدرجة عما يقرأ أو مراقبا لما يقرأ"(٩)

فالمؤلف هنا شخصية من شخصيات الرواية تساعد البطل على الخروج من محنته أو وررطته ، وتتدخل لتسهل الحدث له:-

قفزت امامي صورة طالب الرفاعي ...هل يتذكرني حين اتصل به

صباح الخير انا حلمي جئت معك من القاهرة على الطائرة

احتاج لمساعدتك باش مهندس انا حاضر ، اسرع يرد كما لوانه كان يتوقع اتصالي اخبرته عن حادثة دسوقي مع (ابو عجاج) وكيف انه يرفض استخراج بطاقة مدنية لي يصر على الغاء اقامتي وتسفيري من الكويت قلت له متوسلا (ارجوك ساعدني) بسيطة قاطعني ، واضاف اتصل بي غدا في مثل هذا الوقت وسارتب الموضوع (١٠)

لقد اختار طالب هذا البناء السردي وراهن في روايته ظل الشمس على المفارقة التي يخلقها اختراق الايهام المعتاد ، ذلك الايهام ا لذي يتخذ من الحبكة والشخصيات اسبابا مقنعة ترتبط بواقع الانسان وتشد القارئ نحوها شدا يتصور انه يقرأ سيرة لشخصية ربما يعرفها والحديث عن القارئ هنا لا يفترض وجود شكل أو صنف محدد من القراء ويقسم القراء على ثلاثة أنواع :

النوع الاول من القراء هو الذي لا ينسى ان النص المقروء هو بناء و من ثم سيشارك في القراءة من موقف تأملي.

النوع الثاني من القراء ينقاد انقيادا تاما إلى العالم الروائي حتى التماهي مع هذه الشخصية أو تلك فيصبح هذا القارئ ضحية الوهم الروائي.

النوع الثالث هو الذي لا يختلف عن النوع الثاني وا نما يضاف اليه الرضا الذي تضفيه عليه قراءته لجهة ارضاء بعض الدوافع اللا واعية[١١] . " ويعتقد ان جزءا هاما من النص وص الحديثة المصنفة ضمن نصوص ما بعد الحداثة يتوجه إلى النوع الاول من القراء لأن هدف هذه النصوص هو احباط الاستلاب الملازم للوهم الروائي"[١٢] . وهذا تماما ما اختارته رواية ظل الشمس من انواع القراء نعني النوع الذي يتفاعل ويشارك في انتاج المعنى والدلالة من خلال وضوح الموقف التأملي لديه وهو موقف يعتمد اساسا على ذائقة نقدية متو هجة تراقب قدرة المؤلف الفنية واسلوبه الخاص في الكتابة.

الواقع والخيال

تبدأ رواية ظل الشمس لطالب الرفاعي بمشهد الطائرة التي تنقل البطل حلمي إلى الكويت حيث خطط لحياته .في لحظة من تلك اللحظات التي يقضيها في التذ كر تبدأ بسرد للمشهد يتحدث عن مسافر يصادف شخصية المؤلف الحقيقية "فليس ثمة بالطبع عدم استقرار في وجهة النظر ان وضعه سيمثل الوجه الذي يراه للحقائق ا لمتتابعة كما ان مجال النظر محدد بدقة كاملة ولا تستطيع قصته ان تتيه خارجه"[١٣].

المشهد الأول للطائرة هو: "إلى متى سيبقى هذا الدوي الكريه في راسي ما تصورت الطائرة هكذا ظهر المقعد العالي يخفي المراة الشابة الجالسة إمامي"[١٤]. من هذه البداية الدرامية والحوار الداخلي الذي يشير بدقة إلى المكان (الطائرة) يتولى حلمي عملية السرد وهو اهم شخصية في الرواية البطل الذي يواجه المؤلف الحقيقي و يضبطه وهو يخط مشروع الرواية التي تضم اسمه واسماء المح يطين به فالقارئ يصل إلى الحقائق ويتعرف على الشخصيات (اوصافها ومشاعر ها) من خلال هذه الشخصية الساردة التي تتبنى عملية القص في هذه

الرواية. فحلمي وحده هو من ينقل مواجهاته مع المؤلف وتصوراته وانطباعاته عنه "في الاسبوع الماضي بلغني فتحي: الباش مهندس طالب الرفاعي ارسل يريد مقابلتك.

كلما تلاقت نظراتنا طالب وانا شعرت انه يض مر شيئا وراء تلك النظرات ش يء لا اعرفه كنهه شيء احسه ولا اقدر على التعبير عنه شيء يخصنا وحدنا: هو وانا[١٥] . فالبطل في رواية ظل الشمس يقابل المؤلف وجها لوجه ويحتار بسر نظراته الغريبة نحوه هذا السر الذي يكتشفه مع نهاية خيوط الرواية "وبذلك تستقيم العلاقة بين كتابتي من حيث هي نسق اخر من القول حيث تقوم العلاقة بينهما لا على اساس الخالق والمخلوق بل على اساس الاختلاف في ممارسة الفعل الثقافي وعملية انتاجه"[١٦]. اذ يعمد الميتاقص أو قص القص على امتصاص تماه ي القارئ وتصديقه المفرط لاحداث الرواية وشخصياتها عبر الصدمة التي يولدها . هذه الجدلية بين الواقع والتخييل تتضح دائما بعودة البطل بعد المشاكل والصعوبات كلها يعود إلى القصاصة الاولى عند المؤلف طالب الباش مهندس في الطائرة لائماً نفسه على عدم ادراك اهمية تلك الوريقة في حياته:

"كان على ان اكون حذرا افهم قصاصة ا لورق تلك اسم المهندس رجائي كان مكتوبا بجوار اسمي ولكن من اين لي بمعرفة الغيب"[١٧] طبعا لا يستطيع البطل ان يدرك ان تلك القصاصة هي مشروع حياته عفوا مشروع الرواية . فالرواية تعتمد على حوار خفي يدور بين المؤلف وبين البطل حلمي هذا الحوار قائم على اساس امتلاك احدهما للمعرفة وهو المهندس طالب الرفاعي الباش مهندس فيما ترك الاخر البطل يواجه مصيرا مجهولا تائها بيد الاقدار والغيب تأكله الحيرة وهو يفك رموز الأسماء وطلاسمها التي قرأها في قصاصة المؤلف فضلا عن تدخلات المؤلف لمساعدته "كيف عرف المهندس طالب بأمر هويتي وارتفع بي السؤال لحظة تناولت هويتي. لم اقل شيئا. دسستها في جيبي وتواريت من امامه. من الذي اخبره عنها. ام انه يتسقط اخباري يتبعني لأ مر في نفسه "[١٨] ويستمر هذا اللعب بين المؤلف وبطل روايته حتى يصل حدا يخبره بالنهاية التي يريد أو بعبارة ادق يعرض له نهاية اخف م أساوية من تلك التي خططها ضمن مشروع روايته:

"يبدو طالب مستنفرا شيء ما في عينيه الظرة المستقيمة ذاتها

ـــ اخ حلمي بعثت في طلبك لأنني اود مساعدتك

ـــ عفوا ما ذا بيدك يا باش مهندس

ـــ بيدي اوفر لك تذكرة سفر على حسابي الخاص

ـــ ارجع لمصر؟

ـــ بلدك

ـــ وماذا عن فلوسي واتعابي؟

ـــ فلوسك واتعابك سرقها رجائي وانتهى الامر افضل لك ان تقبل التذكرة

ـــ شكرا يا بلش مهندس

ـــ ارى ان بقاءك في الكويت ليس في صالحك

ـــ ليس لدي ما اخسره

(منذ تقابلنا في مطار القاهرة ونظراته القاسية تلاحقني ماذا يريد مني؟)

ـــ تذكر انني اردت مساعدتك ولكنك رفضت كنت اتمنى ان تنقذ نفسك

ـــ مشكور يا بلش مهندس السلام عليكم

ـــ إلى اللقاء

(أي لقاء ياباش مهندس بعثت ورائي لتتكرم علي بتذكرة سفر ط ظ)"[١٩]. هاهو المؤلف يحذر بطل روايته بلغة واضحة وصريحة اذ حاول الا يقصيه وان يفسح المجال له ليختار النهاية واوعز له بوضوح ان يختار العودة إلى الوطن سريعا قبل ان تجري الاحداث إلى النهاية المؤلمة التي حددها.

وجهة النظر في هذه الرواية كانت تخص البطل السارد الذي تولى عرض الاحداث والمشاهد والوصف بطريقة ذاتية لم يتدخل الكاتب فيها تد خلاً غير مبرر كل ما حاول فعله هو رسم احداثيات الشخصية ثم ترك المجال مفتوحا لها لتتصرف وفق ما يتناسب وحددوها فالسارد اذن وهو بطل الرواية يتحدث عن نفسه ثم يعرض دخول المؤلف الغريب إلى عالمه لكن القارئ لا يدرك علاقة المؤلف ببطل روايته وكيف ينظر اليه ويناقش وجوده في الوقت الذي يسترسل البطل بوصف قدرة هذا الشاب على معرفة تفاصيل حياته بل ومعرفة ما يضمره له

الغيب أيضا. لكن هذه المعرفة تبقى محد ودة ضمن اطار افكار البطل ومشاعره فحسب لان السرد الذاتي لا يمكنه ان يتوغل داخل مشاعر غيره واصفا اياها ا لاما هو ضمن حدود القدرة الانسانية على الفهم والتواصل ليس اكثر بمعنى ان القارئ لم يتمكن من التقاط الطريقة وفهمها التي يفكر بها المهندس الشاب (طالب) أو يتفاعل بها مع بطل روايته الا من خلال الاشارات المقتضبة فالشخصية هنا طالب الرفاعي انتقلت من كونها ال مؤلف الحقيقي من الواقع إلى شخصية ورقية معدومة الملامح لا تحمل سوى دلالة الاسم وحده.

الهوامش :

١- نقلا عن بنية النص السردي ،لحميد لحمداني ،المركز الثقافي العربي ،بيروت ،٢٠٠٣،ط١،ص.٤٦

٢- المتخيل السردي ،عبد الله ابراهيم واحمد الجار الله ،المركز الثقافي العربي ،١٠٦ .

٣- الميتاقص أو مرايا نرسيس ،السرد النرسيسي في رواية (خشخاش)لسميحة خريس نموذجا ،كمال الرياحي مجلة نزوى العمانية ،في موقع المجلة على الانترنت ،ص.٦٤

٤-العوالم الميتاقصية في الرواية العربية ، احمد خريس ،دار الفارابي ط ١ ،دار ازمنه ، بيروت،٢٠٠١،ص.٤٤

٥-معجم المصطلحات الادبية المعاصرة،د . سعيد علوش ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،١٩٨٥،ط.١

٦- الرواية العربية بين الواقع والتخييل ، رفيف صيداوي ، دار الفارابي ، لبنان بيروت ،٢٠٠٨ ، ط١،ص.١٩٥

٧- ظل الشمس ،طالب الرفاعي ،دار شرقيات للنشر ، القاهرة، ١٩٩٨ط١ ،ص٣٨

٨-نفسه ،.٤٣

٩-انماط الرواية العربية الجديدة ، د.شكري عزيز الماضي ،سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت ٢٠٠٨،ط١،ص.٢٤٩

١٠- ظل الشمس٨٦-.٧٨

١١. ينظر: الرواية العربية بين الواقع والتخييل، .١٠

١٢. نفسه، ١١.

١٣. صنعة الرواية، بيرسي لوبوك، تر: عبد الستار جواد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، العراق–بغداد، ٢٣٠.

١٤. ظل الشمس، ٤.

١٥. السابق، ٩٦.

١٦. تفنيات السرد الروائي ظل المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي بيروت، ١٩٩٠، ط١، ص١٣.

١٧. ظل الشمس، ٩٩.

١٨. السابق، ١٠٧.

١٩. السابق، ١٢٥.

مصادر البحث:

– انماط الرواية العربية الجديدة ، د .شكري عزيز الماضي ،سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت ٢٠٠٨،ط١، ص٢٤٩.

– بنية النص السردي ،حميد الحمداني،المركز الثقافي العربي بيروت ، تفنيات السرد الروائي ظل المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي بيروت،١٩٩٠، ط١، ص١٣.

– الرواية العربية بين الواقع والتخييل ، رفيف صيداوي ، دار الفارابي ، لبنان بيروت ، ٢٠٠٨،ط١،ص١٩٥.

– صنعة الرواية، بيرسي لوبوك، تر: عبد الستار جواد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١، العراق–بغداد، ٢٣٠.

– ظل الشمش ، طالب الرفاعي ، دار شرقيات للنشر ، القاهرة، ١٩٩٨ط١ ،ص٣٨.

– العوالم الميتاقصية في الرواية العربية ، احمد خريس ،دار الفارابي ط ١ ،دار ازمنه ، بيروت،٢٠٠١،ص٤٤.

– المتخيل السردي ،عبد الله ابراهيم واحمد الجار الله ،المركز الثقافي العربي ،١٠٦ .

- معجم المصطلحات الادبية المعاصرة،د . سعيد علوش ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، ١٩٨٥،ط١.